الأعمال الابداعية

مأساة الحلاج

صلاح عبد الصبور

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مأساة الحلاج

مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

ماساة الحلاج
صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

اهداءات ٢٠٠٠
ا/ شيرين الصاوى
مكتبة الإسكندرية

مأساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الجزء الأول

الكلمة

المنظر الأول

الساحة فى بغداد . فى عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها . لا يوحى المشهد بالصليب التقليدى . بل بجذع شجرة فحسب . معلق عليه شيخ عجوز . تضىء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا فى سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق فى النوم

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأن ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبته الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدق فى الترب

الواعظ : ليفتش فى موطىء قدميه عن قبره

أجعلها فى الجمعة القادمة

موعظتى فى مسجد المنصور

« تضىء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هــذا الجمع •••

يا قــوم •••

« يتقدمون نحوه خطوة فى حركات بليدة »

من هــذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحــد الفقراء

الواعــــظ : هل تعرف من قتــله ؟

المجموعــــة : نحن القتــله

الواعــــظ : لكنكمو فقراء مثــله

المجموعــــة : هــذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر •• انى أعمى

أتسول فى طرقات الكرخ

واحدمنالمجموعة : « يتقدم خطوة • وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه ، ثم يتراجــع بعد أن يتم كلمتــه • ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنـا قـراد

آخـــــبر : وأنـا حـداد

ثالــــث : وأنـا حجـام

رابـــع : وأنـا خدام فى حمام

خـــامس : وأنـا نجـار

ســـادس : وأنـا بيطـار

التـــاجر : هل فيكم جـلاد ؟

المجموعـــة : « تتبادلون النظر ، ثم يقولون فى صـوت واحد »

لا .. لا ..

التـــاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعـــة : بل بالكلمـات

التـــاجر : « ضاحكا ، وناظرا الى زميله »

قتلوه بالكلمـات ...

هـا .. هـا .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقـا بالكلمات ... ؟

لا ندرى ، واليكم ما كان
فى هــذا اليوم ...

المجموعـــــة : صفونا .. صفا .. صفا

الأجهر صـــوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثــانى
أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا : صيحوا .. زنديق كافر
صحنا زنديق .. كافر
قالوا : صيحوا فليقتل انــا نحمــل دمه فى رقبتنــا
فليقتل انــا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا : أمضــوا فمضينا
الأجهر صـــوتا والأطول
يمضى فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
يمضى فى الصف الثـــانى

((مع الفاظهم الاخيرة يخرجون من المسرح))

التـــــاجر : هــل أدركنــا شــيئا

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه ، مجموعة من الصوفية »

الواعـــــظ : لا ، أنــا لم أفهم

الفـــــلاح : فلنسأل هــذا الجمع

من أنتم ... ؟

مجموعة الصوفية : نحن القتــلة

أحببنــاه ، فقتلنــاه

الواعـــــظ : لا نلقى فى هذا اليوم سوى القتله

ولعلكم أيضــا حين قتلتم هـــذا الشيخ المصــلوب

المجموعـــــة : ... قتلناه بالكلمــات

الفـــــلاح : زاد الأمر غرابه !

المجموعـــــة : أحببنــا كلمــاته

أكثر مما أحببنــاه

فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات

التـــــاجر : من أنتم ؟

المجموعـــــة : أصحاب طريق مثله

الواعــــظ : هل خفتم لمـا صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟

المجموعـــة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنفذنا ما أوصانا به

الواعــــظ : أوصــاكم به .. ؟

مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشا فيروينا ..
من مــاء الكلمــات
جوعى ، فيطاعمنــا من أثمــار الحكمــة
وينادمنا بكئوس الشوق الى العرس النورانى

الواعــــظ : عجبـا لا أفهــم !
« ملتفتـا الى زميليـه »
هل تفهم أنت .. وأنت ؟
« يهــزان رأسـيهما »

مقدم المجموعة : لا تبغ الفهم ... اشعر وأحس
لا تبغ العلم ... تعرف
لا تبغ النظر ... تبصر

هـذى كانت كلمـاته

الواعـــظ : كلمات تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم المجموعة : كان يقول :

اذا غسلت بالدماء هامتى وأغصنى
فقد توضأت وضوء الأنبياء
كان يريد أن يموت ، كى يعود للسماء
كأنه طفل سـماوى شريد
قد ضل عن أبيه فى متاهة المساء
كان يقول :
كأن من يقتلنى محقق مشيئتى
ومنفذ ارادة الرحمن
لأنه يصوغ من تراب رجل فان
اسـطورة وحكمـة وفكره
كان يقول :
ان من يقتلنى سيدخل الجنان
لأنـه بسيفه أتم الدوره
لأنه أغاث بالدما اذ نخس الوريد
شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم

فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان

مثمرة تكون فى مجاعة الزمـان

خضراء تعطى دون موعد ، بلا أوان

وحينما أسلمه السـلطان للقضاه

ورده القضـاة للسلطان

ورده السـلطان للسجان

ووشيت أعضاؤه بثمر الدمـاء

تم له ما شـاء

هل نحرم العـالم من شهيد ؟

هل نحرم العـالم من شهيد ؟

الواعـظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعـة : أبكانا أنـا فارقنـاه

وفرحنا حين ذكرنا أنـا علقناه فى كلماته

ورفعناه بهـا فوق الشجره

أفراد المجموعـة : وسنذهب كى نلقى ما استبقينا منها

فى شق محاريث الفلاحين

ونخبئها بين بضاعات التجار

ونحملها للريح السواحة فوق الموج
وسنخفيها فى أفواه حداة الابل ...
الهائمة على وجه الصحراء
وندونها فى الأوراق المحفوظة بين
طوايـا الثوب
وسنجعل منها أشعارا وقصائد

المجموعـــة : قل لى .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيـات الأخـيرة من اول » :

« وســنذهب ... »

« يدخـل من خلف الشــجرة شيخ فى يــده وردة »

التــــاجر : من هــذا ؟

الواعـــظ : هذا الشبلى .. شيخ الزهاد
كان له اقطــاع فى قريتنا
وتخلى عنه لكى يمضى فى طرق الصوفيه
فلننظر ما يفعل

الفــــلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشـــــبلى : يا صاحبى وحبيبى

« أو لم ننهك عن العالمين »

فمـا انتهيت

قد كنت عطرا نائما فى وردته

لم انسـكبت ؟

وردة مكنونة فى بحرها

لم انكشـفت ؟

وهل يساوى العالم الذى وهبته دمك

هـذا الذى وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت سـبقت

أحببت حتى جـدت بالعطـاء

لكننى ضننت

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قـد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة ..

بعض ما أعطيت

« يلقى اليه وردة حمراء »

ربـاه لا أستطيع أن أمد ناظرى
يجول فى روحى وفى خواطرى
لو كان لى بعض يقينك
لكنت منصـوبا الى يمينك
لكننى استبقيت حينما امتحنت عمرى
وقلت لفظا غامضـا معناه
حين رموك فى أيدى القضـاه
أنـا الـذى قتلتـك
أنـا الـذى قتلتـك
« يخـرج »

الفـلاح : عجبا لم ندرك شـيئا

التـاجر : لن ترضى زوجتى عنى الليلة

الواعـظ : ضاعت عظتى الا أن أتبع هـذا الشيخ الطيب فيحدثنى بالقصـة
يا شيخ ... ما القصة ... ما القصة ...
من قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟

« ينطلقون خلفـه »
(سـتار)

المنظر الثـانى

« بيـت الحـلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلى يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفيـة ، شيخان فى اواخر العمر »

الشـــبلى : ... يا حـلاج ، اسمع قولى
لسنا من أهـل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيـا
أسرعنا لله الخطو العجـلان ، فلمـا أضنانا
الشـوق الظمـآن
طرنـا بجنـاحين
ولمسنا أهـداب النور
هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الفضـيه
الا أشباحا حائلة تذوى فى وهج العرفـان
وظلالا زائلة لا تمسكها الأجفان.

الحـــلاج : لكن .. يا أخلص أصحابى ، نبئنى ...

كيف أميت النور بعينى
هذى الشمس المحبوسة فى ثنيات الأيام ؟
تثاقل كل صباح ، ثم تنفض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشـفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات ، الخانات ،المـارستانات ،
الحمامـات
وتجمع من دنيـا محترقـه
بأصابعها الحمراء الناريـة
صورا ، أشباحا ، تنسج منها قمصانا ،
يجرى فى لحمتها وسداها الدم
فى كل مساء تمسح عينى بها
توقظنى من سبحات الوجـد
وتعود الى الحبس المظـلم
قـل لى يا شـبلى
أأنـا أرمـد ؟

الشـــبلى : لا ، بل حدقت الى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن

ولذا ، فأنا أرخى أجفانى فى قلبى
وأحدق فيه ، فأسعد
وأرى فى قلبى أشجارا ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموسا خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزا ، من ياقوت
ودفائن وتصاوير
كل فى أعلى سمته
أو فى أبهى هيئاته

الحلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبك ؟

الشبلى : هذا حالى يا حلاج
لن تحسدنى ومعاذ أخوتنا أن يخطر فى بالك
أن تحصى ما يلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسألنى أيضا ... ما يدرينى ؟
أحوال الصوفيين مواهب

الحارس : لا ، انى أشرح لك

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه
ليفرق فيهم أقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكما لا ينقص نور الله اذا فاض على أهل النعمة
لا ينقص نور الموهوبين اذا ما فاض على الفقراء

الشبلى : لا ، يا حلاج
انى أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا
فأرى ، يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى

الحلاج : هبنا جانبنا الدليا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشبلى : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحـــــلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج ألفــاظ
لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيهــا
« ها أنت ترانى
لـكن تخشى أن تبصرنى
لعن الديــان نفاقــك »
أحيانا أقرأ فيهــا
« فى عينــك يذوى اشـــفاق ، تخشى أن
يفضــح زهــوك
ليسامحك الرحمن »
قد تدمع عينى عندئذ ، قد أتألم
أما ما يملأ قلبى خوفا ، يضنى روحى فزعا
وندامــه

فهى العين المرخــاة الهدب
فوق استفهام جــارح
« أين الله » ... ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطى
مذهوب اللب
قد أشرع فى يده سوطا لا يعرف من فى
راحته قد وضعه
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية
تخذتهم أرباب من
دون الله عبيدا سخريا
يا شبلى
الشر استولى فى ملكوت الله
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا
الا أن يظلم قلبى ؟

الشبلى : مهلا .. مهلا
بل أنت الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل انى أتنور من رأسى حتى قدمى

الشبلى : صمتا ، واليك جوابك كى ترتد الى نفسك
هل تسألنى من ذا صنع الفقر ؟
من ألقى فى عين الفقراء ؟

كلمـــات تفزع من معناها
واليك جواب ســؤالك .
الظـــلم ...
هل تسألنى من ذا صـــنع القيـــد الملعون ،
وأنبت سوطا فى كف الشرطى ؟
واليك جواب ســؤالك :
الظـــلم
هل تسألنى من ذا صنع الاستعباد ؟
الظـــلم ...
لـكنى ألقى فى وجهـــك
بســؤال مثل ســؤالك
قل : من صـــنع الموت ؟
قل : من صنع العلة والداء ؟
قل : من وســم المجذومين ؟
والمصروعين ؟
قل : من ســـمل العميان ؟ .
من مد أصابعه فى آذان الصم ؟
من شـــد لسان البكم ؟

من ســود وجه السود ؟
من صفر وجه الصفر ؟
من ألقانا فى هذى الدنيا مأسورين
لنغص بمشربنا ، ونشاك بمطعمنا
تتنفس أبشع رائحــة مصاعدة من رجــع
حلوق الموتى
الموتى الأحياء المقتولين القتلة
الكذابين الخوانين ، لصــوص الأطفــال
ومنتهكى الحرمات ، وتجار الدم
وزنــاة الليل وقوادى القرباء
وجبــاة بيوت المــال
ومرابيى الأسواق وبياعى الخمر
من ألقانا بعد الصفو النورانى
فى هذا المــاخور الطافح
من •• من •• ؟

الحـــــلاج : لا •• لا •• لا أجرؤ
أتريد تقول ••
لا •• لا ••

لا تملأ نفسى شكا يا شبلى

الشبلى : بل انى أملؤها علما ويقينا
يا حلاج
الشر قديم فى الكون
الشر أريد بمن فى الكون
كى يعرف ربى من ينجو ممن يتردى
وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه
فاذا صادفت الدرب فسر فيه
واجعله سرا ، لا تفضح سرك

الحلاج : يا شبلى
دعنى أتأمل فيما قد قلت الآن
ها أنت تزلزلنى فى دارى
والسوق يزلزلنى ان أترك دارى
كلماتك تجذبنى يمنه ...
وعيونى تجذبنى يسره ..

« مناد ينادى بالخارج »

ابراهيم : هل أدخل يا شيخى ؟

الحـــــلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلى
ما أحلى أن تتكاشف ، لكن الأيام ضنينه
ومواجـدنا لا تنفـد
فليشـــهدنا ابراهيم
هل تعرفه ، شاب من أهل الله ...

الشــــبلى : وأحبـه

الحـــــلاج : ادخل يا ابراهيم

« يدخل ابراهيم بن فاتك ، منزعج الخـاطر مسرعا »

الحـــــلاج : ماذا تطوى فى قلبك حتى فاض على سيماك
هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلى
فى خير ما دمنـــا فى خير

ابراهيـــــم : ما أصبحنا فى خير بعد الآن
قد كنت أزور اليوم القاضى ابن سريج
نبأنى أن ولاة الأمر يظنون بك السوء ...

الحـــــلاج : بى يا ابراهيم ؟ ..

ابراهيـــــم : .... ويقولون

هذا رجل يلغو فى أمر الحكام
ويؤلب أحقـاد العامـة
ورجـائى أن أنبيك رجاءه
بالحيطـة والكتمـان

الحـــلاج : ماذا نقموا منى ؟
أترى نقموا منى أنى أتحدث فى خلصائى
وأقول لهم ان الوالى قلب الأمة
هل تصلح الا بصـلاحه
فاذا وليتم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطة
فى أكواب العدل ؟
أترى نقموا منى تدبيرى رأيى فى أمر الناس
اذ أشهدهم يمشون الى الموت
لكن توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت

ابراهيـــم : زعموا أن قد أرسلت رسائل سريه
لأبى بكر المـاذرائى ، والطولونى ، ولحمد القنـائى
وسواهم ممن يطمح للسلطه

الحـــــلاج : هم بعض وجوه الأمــه
وهمو أيضا خلصائى ، أحبابى
وعدونى ان ملكوا الأمر
أن تحلو سيرتهم ويعفوا عن سقط الفعل
أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام
فنجاوبهم بحقوق الحكام على الناس
هم زهرة آمالى فى هذا العالم يا ابراهيم

الشـــــبلى : يا حــلاج
لا أدرى للصوفى صديقا الا نجوى الليل
وبكاء الخوف من الدنيا
وأناشيد الوجد المشبوب وآهات الذل
وفتوح المحبوب بنور الوصل
فاذا ثقلت فى جنبيه الوحده
فليلزم أهل الخرقة ، أبناء الفاقه
ممن قنعوا باليأس عن الآمــال
طرحوا الانكار ببحر التسليم
حجبوا عن أعينهم هم الرؤيــه
قرآوا ما لم تره العين

قل لى .. يا حلاج
أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف
ان ولوا ظلوا أهـل موده ؟

الحـــلاج : لا يعنينى أن يرعوا ودى أو ينسوه
يعنينى أن يرعوا كلمـاتى

الشـــبلى : بل ما يدريـك بأنهمو ان ولوا تسـكرهم خمـر السـلطة
وبأنهمو ما التفوا حولك
الا لكراهتهم من دبر لك

الحـــلاج : قد خبت اذن ، لكن كلماتى ما خابت
فستأتى آذان تتأمل اذ تسمع
تنحدر منها كلماتى فى القلب
وقلوب تصنع من ألفاظى قدره
وتشـد بها عصب الأذرع
ومواكب تمشى نحو النور ، ولا ترجع
الا أن تسقى بلعـاب الشمس
روح الانسان المقهور الموجع

ابراهيـــم : مولاى

أخشى أن يدركك الكيد الظالم
مـاذا تنوى •• ؟

الحـــــلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوق فى صورته ، ذى روح متصف بصفاته

ابراهيــــم : هل يقصــد مولاى خراسان
ويظل بها حتى يهدأ عنه السعى المحموم ؟

الحـــــلاج : خراسان •• خراسان
لينور قلبك ربى ، يا ابراهيم
أخراسان •• الجنه
كى يقصدها من أضنته الدنيا ؟
هل ثمت وصفاء بخراسان
كى يقصدها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيــــم : مولاى
الظلم بكل مكان
والجنة آخر سعى الانسان
لا أول ســعيه
ها أنت وحيد ، شـيخ مجهود ، أضـناك التطـواف

فى أرجاء الدنيا طلبا للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤنا كثر يا مولاى ؟

الحـــــلاج : لكن صحابي أكثر من أعدائى

ابراهيـــــم : لا أبصر مخلوقا منهم يا مولاى
الا شيخى الشبلى .. وأنـا
وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحـــــلاج : أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا ابراهيم
أصحابى آيات القرآن وأحرفه
كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون
أحياء الاموات ، الشهداء الموعودون ،
فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيـــــم : يا مولاى
فى عصر ملتاث ، قاس ، وضنين

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ، كى ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت

الحـــــلاج : يا ولدى ، كم أخطأت الفهم !
لا أطـــلب من ربى أن يصنع معجـــزة ، بل
أن يعطينى جلدا
كى أدرك أصحابى عنده

ابراهيـــــم : يا مولاى
خوف لا يسعفنى أن أفهم عنك
هل تأذن لى أن أذهب للمـــاذرائى
استرشده فيما تفعل ؟

الحـــــلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيـــــم : بل ، تأذن لى ، ولك الفضل

الحـــــلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحـــلاج
أن تحفظه فى قلبك
« يخـــرج ابراهيـــم »

الشـــــبلى : رجل طيب ..

ويحبك

الحلاج : يقصيه هذا عنى
أحيانا يخطىء سبل الحب
ويحب الله بشخصى

الشبلى : ماذا تعنى .. ؟

الحلاج : لو أحببنى فى الله
بدلا من حب آلهى فى
لم يفزع ، لم ينصحنى بالهجرة لخراسان

الشبلى : هذا حق
لا أنصح بخراسان
قل لى يا حلاج
هل ما اشتقت الى الحج ؟

الحلاج : الحج ...
هل أوقد قلبى نارا الا الحج ؟
هل أنضج قلبى الا وقد الصحراء وسعى الرمضاء
والصوم الى أن أغفى الجسم الناحل فى جذع النخلة

فى أرض مدينتــه الخضراء
ولدت كلمات الله هناك بقلبى المثقل
فأتيت بها ، طوفت بأرض الناس
عن فتنة طلعتها أنضو أطراف ثيابى شيئا شيئا
سأخوض فى طرق الله
ربانيا حتى أفنى فيه
فيمد يديه ، يأخذنى من نفسى
هل تسألنى ماذا أنوى ؟
أنوى أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربى
الله قوى ، يا أبناء الله
كونــوا مثــله
الله فعول يا أبناء الله
كونوا مثله ..
الله عزيز يا أبناء الله

الشبلى : خفف من غلوائك يا شيخ
فلقد أحرمت بثوب الصوفى عن الناس

الحلاج : تعنى هــذى الخرقــة
ان كانت قيدا فى أطراف

يلقينى فى بيتى جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابى كلمـاتى
فأنا أجفوها أخلعها .. يا شيخ
ان كانت شارة ذل ومهانه
رمزا يفضح أنـا جمعنا فقر الروح الى فقر المـال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
ان كانت سترا منسوجا من انيتنا
كى يحجبنا عن عين النـاس ، فنحجب عن عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يـارب اشـهد
هـذا ثوبـك
وشعار عبوديتنا لك
وأنـا أجفوه ، أخلعه فى مرضاتك
يـارب اشـهد
يـارب اشـهد
((يخـلع الخرقـة))
((سـتار))

المنظر الثالث

« نهارا . الساحة فى بغداد . الواعظ والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعظ : وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقى بدينار لبيت المال
لكى يثبت حق الملك

الفلاح : وهل أثبت حق الملك للقصرين فى بغداد
وللبيت المشيد فى نواحى الكرخ ؟

الواعظ : سؤالك ساذج اذ دار فى ذهنك

التاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج صغير

الواعظ : ولو جاوبت أو علقت كنت الساذج الأكبر

التاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا فى القصر حتى يستتب العدل

الفـــــلاح : وهل هم أهل عدل فى ضياعهسو وثروتهم
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعـــــظ : سـؤال ساذج ثان

التـــــاجر : اذن ، فالكون قد قام على العدوان
ولا جدوى ، فما فى الوسع الا الاحتيـال
عليــه
وأن ندعو رب العرش أن يصرفه عنا

« يميلون الى جهة من المسرح ويدخل ثلاثـة آخـرون أحـدب واعرج وأبرص ، وهم من افراد المجموعـة الذين ظهـروا فى المشـهد الأول » .

الأحـــــدب : نعم ، انى أحب الشيخ
ولكن أسـائل نفسى الحيرى
تـرى يسـطيع أن ينصب ظهـرى بعـد
ما أحـدب ؟

الأعــــرج : أحس اذا سمعت حديثه الطيب
بأنى قادر أن أثنى الساق ، وأن أعدو ،
وأن ألعب

بلى ، فلقـد أحس بأننى طـير طليـق فى سـماواته
ولكنى اذا فارقت محفله تبدت لى
ظـلال الشـك فى حـالى
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوهـا المتعب
على دقات ساق الفقر والاملاق

الأبـرص : كأن الشمس حين أراه قد سمعت ضراعاتى
وقـد صبغت مذلاتى
وصرت أجوس فى الطرقات مختالا ، نضير الوجه وردى الذراعين
بلا سوء ولا وسم بسيمائى
ولكنى اذا فارقته لململمت ثوبى فوق أعضائى
ولذت بستر مسغبتى واعيائى وأدوائى

« يميلون الى جهة ثانية من جهات المسرح »
« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقة
الثـانى : وهبه خـلع الخرقـة ..

ترى هل خلع القلب الذى وسد فى الخرقه ؟
أو الله الذى يحيا بهذا القلب ؟

الثـــالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التى نزهى
بها ، ونحس أنا حين نلناها
خلعنا الكون ، قصصنا جناحى توقنا النزاع
نذرنا نفسنا للحج ، أخرمنا للقيا النور
فان أسعفنا الحال ، ونلنا ما تمنينا
فذلك حظنا الموفور
طاب البحر والرحلة والمرفأ
وكان البيرق المنشور
رايتنا ، لواء سفيننا .. الخرقه
وان عاندنا التيار ، واستعصى على النوتى
ادراك الطريق ، تملس النجم السماوى
وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور
وضل الركب والملاج بين الموج والأنواء
ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفاء
وحلم النور فوق زجاجها المكسور

فيكفى اننا متنا ، وكفنا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثـــــانى : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبت للظــالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟
أما أبصرت بعض السالكين تنعموا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذة
تشهوا لذة أخبث من كل اللذاذات
تشهوا لذة الانكار للآلام والبشر
وأن يمشوا خفاف الخطو مطويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفوا ورا الخرقه

الثـــــالث : تقول الحق ، لكني أخشى ان خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل فى أمورهم
ونركب متن دنياهم ، ونسترضى رءوسهم
ونلغو فى سياستهم ، وندنو من سفيههم
وقد تبتل أيدينا بوبل من شرورهم
وقد يفسد قربهمو الذى نلنا ببعدهم

الأول : هنا ، توقفنى الحيرة عن أن أقطع الأمرا !.
فماذا لو طرحنا همنا للشيخ حين يجىء
وهـذا وقت أوبته من المسجد
« ينتحـون جانبـا »
« صوت الحلاج من اقصى المسرح »

الحـلاج : الى الىّ يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى
كسيرى القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتى
الى الى
لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا
الى الى ، أهديكم الى ربى
وما يرضى به ربى
« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص . ملابسهم موحـدة ، ويبدو انهم من الشرطـة ، يعـرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض »

التـاجر : من هـذا الشيخ الصـارخ

الفـلاح : يهدينا ــ فيما يزعم ــ لله
شيخ مجذوب ، كم نلقى من أمثاله

في سوق الشحاذين

التاجر : هيا نذهب

فلقد خلفت ابني في دكاني

وهو ضعيف العقل

ان جاءته جارية حسناء

أعطاها ما قيمته خمس قطع

بثلاث أو أربع

الفلاح : وأنا قد بعت الحنطة في السوق اليوم

وأريد العودة لعيالي في ظاهر بغداد

بالمال سليما قبل الليل

لو أبطأت لقادتني رجلاي

للخمارة حيث أذيب نقودي

في كأس أو أدفنها في تكة سروال

الواعظ : جازاك الله ، فما قلته

قد ألهمني عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكة

عن فلاح باع الحنطة في السوق

أغـواه الشـيطان
فزنا بالمـال ، وعـاد ليلقى الصبية جوعى
فبكى .. و .. و ..
وسيلهمنى الله الباقى
وسأجعل عبرتها ونهايتها
احـذر كيد النسـوان

« يخرجـون »

« صوت الحلاج يرتفع ، وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله »

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلاه ، وزينه ، فكان صنيعه الانسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فان تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
الى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وان تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجرنـــا ، ويجفونـــا ..
وماذا يفعل الانسان ان جافاه مولاه ؟
يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس فى عينيه أذرعـــة من النيران
يلقى ثقلها المشاء
على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرة مهشـــمة رماديـــه
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجهضة تكفن عارها فى الطين
ويمشى القحط فى الأســـواق ، يجبى جزية
الأنفـــاس
من الأطفـــال والمرضى
حقيبته بلا قـــاع ، فلا تملأ اذ تعطى
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل
جنود القحط ، جيش الشر والنقمـــة

خلائقهم مشوهة ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو ابليس،وهو وزير ملك القحط
وليس القتل والتدجيل والسرق
ولبس خيانة الأصحاب والملق
وليس البطش والعدوان والخرق
سوى بعض زعايا القحط ، جند وزيره ابليس
تعالى الله ، قد يأنف أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهـه عنا
فكيف اذن نصفى قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نصلى •• نقرأ القرآن
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضان
نعم ، لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربى قصـده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، ان عشقت ألست تبغى أن تـكون
شـبيه محبـوبك

فهــذا حبنــا لله
أليس الله نــور الكون
فكن نــورا كمثل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

شــــــرطى : ((مقاطعــا))
ولكن شيخنا الطيب ، هل ربى له عينان
لكى ينظر فى المرآة ؟

الحـــــلاج : ولكن ولدى الطيب ، هل قفل على قلبك
حتى ينطق القرآن
« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطى آخـر : أجدت الرد ، كيف اذن تظن الله
بلا نعت ولا تشــبيه ؟

الحـــــلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح
وظنى كوة المشــكاه
وكونى بضعة منه تعود اليه

الشــــرطى : اتعنى أن هــذا الهيكل المهــدوم بعض منه
وأن الله جل جلاله متفرق فى الناس ؟

الحــــــلاج : بلى ، فالهيــكل المهــدوم بعض منــه ان طهــرت جوارحــه

وجل جلاله متفرق فى الخلق أنوارا بلا تفريق

ولا ينقص هذا الفيض أدنى اللمح من نوره

شرطى ثالث : فأنت اذن آله مثله ما دمت بعضا منه ؟

الحــــــلاج : رعاك الله يا ولدى ، لمــاذا تستثير شجاى

وتجعلنى أبوح بسر ما أعطى

ألا تعلم أن العشق سر بين محبوبين

هو النجوى التى ان اعلنت سقطت مروءتنا

لأنــا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل تنعمنا

دخلنــا الستر ، أطعمنا وأشربنــا

وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا

وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا

فلمــا أقبــل الصبح تفرقنــا

تعاهدنا ، بأن أكتم حتى أنطوى فى القبر

الشــــــرطى : كفى ، يا شيخ هذا القول عين الكفر ..

الحــــــلاج : عين الكفر .. ويلك .. هذا القول لى ، فاســمع

وان كنت سألقى الهول لو كشفت وجه السر
أجل لا ، بل ويلتى جرجرت من زهوى الى حتفى
ولكن .. كيف .. هل أترك هــذا اللفظ ملقى فوق أثوابى ؟
اذن ، فاسمع ، وقل فى الأمر ما ترضاه
لقد أحببت من أنصف
فأعطـانى كمـا أعطيت

الشـــرطى : يا أهل الاسلام .. هذا شيخ زنديق

شـرطى ثـان : فلنأخـذه للسـجن

شرطى ثالث : هيا .. يا كافر

أحد الصوفية : لا .. يا قـوم
هـذا سكر الصـوفيه
فاض القلب فعربد
غلب الوجد القصد

الشـــرطى : هـذا لغو أجـوف
فلنحم الدين من الكفرة

صـــــوفى : « للمجتمعين. »

يا قـــوم

هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله

لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟

لا ، بل من أجل حديث القحط

أخذوه من أجلكمو أنتم

من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط

الأعـــــرج : هذا حق فالشرطة خدام السلطان

ما للشرطة والحب

فلنطلقه من أيديهم

« ضجـة وتلويح بالأيدى توشـك ان تصبح مقتـله »

الحـــــلاج ، لا ، يا أصحـابى

لا تلقوا بالا لى

أستودعكم كلمـاتى

عودوا •• عودوا ••

ودعونى حتى تنفذ فى بدنى

لتؤدبنى

ألفاظ عتاب المحبوب النارية

الأبــــــرص : « لأحد الصوفية »
مــاذا قــال ؟

الصـــــوفى : مازال بحــال الوجد ..
يتحدث من قلبه .

الشـــــرطى : يا قــوم
الشيخ أقر بجرمه
فدعوه يمضى ليؤدب
يا شـيخ ..
هل أقررت بجرمك ؟

الحــــلاج : هــذا حق يا ولدى ..
فلقد أجرمت بحقــه
اذ أفشـيت السر

الشـــــرطى : أسـمعتم ! ..

الحــــلاج : عاقبنى يا محبوبى انى بحت وخنت العهد
لا تغفر لى ، فلقد ضاق القلب عن الوجد
لكن عاقبنى كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه

لا تهجرني ، لا تصرف عني وجهك
لا تقتل روحي بدلالك
اجعل بدني الناحل أو جلدي المتغضن
أدوات عقـابك

« يتقدم الحـلاج امام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه ، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت احد الصوفية » .

الصـــــوفي : هل نتركه للشرطة ؟

صـوفي آخـر : هـذا ما أوصانا به

« يخرج الصـوفية وهم يرددون ، هـذا ما اوصانا به »

الأبـــــرص : مـاذا تفعـل ؟..

الأحـــــدب : ما رأيـك أنت ؟

الأعـــــرج : هل تتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددون ، لنرى ما يحدث »

« يدخل الواعظ مسرعا من اقصى المسرح ، فيدرك الاعرج وهو يتبع زميله »

« للاعرج ، وهو يشد قميصه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟
فلقد جلبتنى أصـــداء الضجه

الأعـــــرج : أخـــذته الشرطة ..

الواعـــــظ : من ؟

الأعـــــرج : الرجــل الطيب

الواعـــــظ : ولمـــاذا ؟ ..

الأعـــــرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب
لم يستطع الكتمان ، فباح
دعنى أمضى
« يشد قميصه ، وينطلق »

الواعـــــظ : « وحده على المسرح » باح ..
بم باح ، لكى تأخذه الشرطة ؟
لا أدرى ، وعلى كل فالأيام غريبه
والعاقل من يتحرز فى كلماته
لا يعرض بالســـوء
لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض
أو وال أو محتسب أو حاكم

(ســـــتار)

الجـــزء الثـــانى

المـــــوت

المنظر الأول

« سجن مظلم ينفتح بابه ليدخل منه الحلاج يدفعه حارس »

الحــــارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الحــــلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلاج المسكين أعلى من قــدره

الحــــارس : أدخل ، لا تكثر فى القول

ولتجلس بين رفيقيك

« يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئا فى الظلمة القائمــة »

الحــــلاج يا صاحب هــذا البيت

هب ضيفك نورا حتى يكشف موضع قدميه

أو كحل بسنا ذاتك عينيه

يا صاحب هــذا البيت

السجين الأول : « هامسا لرفيقه » هذا رجل مأفون
يتوهم أنــا جئنا فى مأدبة أو حفل

الحـــــلاج : نورا يا صاحب هذا البيت ..

السجين الثانى : أطلب من حارسنا الطيب مصباحا أو شمعة

السجين الأول : « لرفيقه هامسا » لا يدرى أنــا فى قــاع السـجن

السـجين الثانى : لسنا فى قصر الوالى

السجين الأول : أو بيت القاضى

السجين الثانى : أو فى خمارة شط الكرخ

الحـــــلاج : يا صاحب هــذا البيت
قد أبطــأ عن عينى نورك
ان كنت ترى أن أستهدى بالظن
فقد خطواتى

السجين الأول : فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بحنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
فى ظل الحــائط

ودعـا بوزير القصر فأطعمه وأنامه
فتحلب ريق وزير القصر
واستصفى ماله

السجين الثانى : ورماه فى السجن

الحـــلاج : يا صاحب هـذا البيت
شكرا ، لم يبطىء نورك
عليكما السـلام ، سيدى

السجين الأول : وعليـك ..

« وهو يجلس فى ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صـوته »

.. وباسمك اللهم كانت هجرتى ، وسارت الأقـدام
بارك لنا اللهم فى الدخول والمقام

السجين الثانى : « هامسا » عرفتـه
من ذقنه ، وتمتماته ، ولحيته
وذكره اسم الله فى مفتتح الكلام

السجين الأول : ومن يكون ؟ ..

السجين الثانى : قصاص مسجد الرصافة
ذاك الذى ــ فيما رووا ــ قد كان
يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول : ماذا عنيت ؟

السجين الثانى : يطعن ان حركه الغرام
احبابه فى الظهر

السجين الأول : «ضاحكا» آه ، تعنى ابن بقين ..لا..لا..
بل انى أعرف من تعنيه
لا يشبه هــذا الشيخ

السجين الثانى : هل تعرفه معرفة طيبة حقا ؟
يا ويلى ، كيف ترى أغفو جنبك
فلتعلم أنى مهر لم يركب أو يركب
لا بأس بأن أركب
لكنى لا أركب
« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول : صـــــه
لا تهزر فى هذا أو أهشم رأسك

السجين الثانى : رأسى •• من أنت لتهشم رأسى

السجين الأول : لا تعرفنى حتى الآن
هه •• خذ كى تعرفنى

« يعاجله بضربة ، فيمسك الثانى بقدمه ويلويها »

السجين الأول : أطلق قدمى ستكسرها •• سأنادى الحارس

السجين الثانى : لا •• حتى تجعلنى أركب

السجين الأول : أطلق قدمى •• يا حارس •• هذا وحش مجنون

الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »
يا ولدى أرجوك
أطلق قدمه

السجين الثانى : من أجلك يا مولانا القا ••
قل لى •• قاض أنت ؟

الحلاج : قاض •• لا يا ولدى

السجين الثانى : أمعلم مسجد ؟

الحلاج : لا •• كيف أعلم
وأنا لا أعلم

السجين الأول : « وهو يقترب منه هامسا »
من أنت اذن ؟

الحلاج : اسمى الحلاج حسين بن المنصور

السجين الثانى : مـاذا تعمـل ؟

الحلاج : أتأمل يا ولدى

السجين الأول : شـاعر ؟

الحلاج : أحيـانا

السجين الأول : هل تقرأ فى كتب القدماء ؟

الحلاج : أحيانا

السجين الأول : هل تبحث فى أسرار الكون ؟

الحلاج : بل أشـهدها أحيانا

السجين الأول : مجذوب أنت ؟

الحلاج : دوما نحو النور

السجين الأول : هل أنت ولى ؟

الحلاج : لا بل مولى
وليى ووليك يشهد

« يتبادل السجينان النظر ، ويهمان ثم يتوقفان ، وبعد برهة ينطلقان فى واحـد »

السجينـــان : ولمـــاذا لا تسألنا من نحن ؟

الحـــــلاج : أصحابى فى دار الهجره

السجين الأول : ما معنى هــذا ..

الحـــــلاج : عشنا حينا فى دار الخوف

تتكتم بين الأضـــلاع

سرا نخشى أن تسرقه الأسماع

لكن المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع

فخرجت الى دار الهجره

السجين الأول : هــذا رجل طيب

يلقى لفظا لا أدرى معناه

لكنى أشـــعر به

السجين الثانى : هذا رجل مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل رجل طيب

وولى من أهل الله ، وان أنكر

السجين الثانى : اسكت يا أحمق

هذا رجل دجال مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

السجين الثانى : أنت غبى أحمـق

السجين الأول : بل أنت عنيد كالبغل

السجين الثانى : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام

عفوا ، هذى برذعتك

وذراعاى لجامك

هيا احملنى للقصر الأبيض

كى أمدح مولانا والى الشام

بمعلقة من قافية اللام

وأعود بمهر وفتاة وغلام

حا .. حا .. حا .. « يمتطيه فوق كتفيه »

السجين الأول : دعنى .. أو ألقيك الى الأرض

فأهشـم أضـلاعك

السجين الثانى : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك

« يلف ذراعية بعنف حول رقبته »

السجين الأول : دعنى يا مجنون

انك تخنقنى .. انى سأموت

السجين الثانى : فلينتقص عندئذ عدد رعية مولانا جحشا

السجين الأول : أنقذني يا حارس

يا حارس .. يا حارس .. يا حارس

« يعمل القفل فى الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلا »

الحــــارس : من صانع هــذى الضجة ؟

« للسجين الأول »

أنت

السجين الأول : لا ، يا مولاى الوالى

لم أنبس بنت شفه

فأنا أخشى غضبك

وأنزه هذا السمع المرهف

عن صوت السفلة من أمثالى

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثانى »

الحــــارس : هو أنت ..

السجين الثانى : لا يا ســيد

فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متأملا ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحـــــارس : فهو الثالث لابد
هذا أمر .. بالعقل
أنت الصـــارخ

الحــــلاج : لا يا ولدى
بل كنت أحدث نفسى فى صوت خافت

الحـــــارس : خافت .. يا كذاب ؟

الحــــلاج : لا أكذب يا ولدى قط

الحـــــارس : وتناقشنى أيضا يا كذاب ؟

الحــــلاج : لا تشتمنى يا ولدى
فالسب خطيئة

الحـــــارس : كذاب .. وفقبه !
خـــذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »

« يزداد الشرطى عنفا ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحـــــارس : لم لا تصرخ ؟

الحـــــلاج : هل يصرخ يا ولدى جسد ميت ؟

الحـــــارس : اصرخ •• اجعلنى أسكت عن ضربك

الحـــــلاج : ستمل وتسكت يا ولدى

الحـــــارس : اصرخ •• لن أسكت حتى تصرخ

الحـــــلاج : عفوا يا ولدى ، صوتى لا يسعفنى .

الحـــــارس : قلت اصرخ •• أنت تعذبنى بهدوئك

الحـــــلاج : فليغفر لى الله عذابك

أيخفف عنك صراخى •• قل لى

ماذا تبغى أن أصرخ •• فأقول ؟

الحـــــارس : استحلفنى بالله ، بأولادى ، بتراب أبى •

أنظر لى نظرة خوف تتبع سوطى ، وهـو يحلق ، ثم يرف ويتهاوى

اسأل لى الله بقاء ، أو سعة فى الرزق ، رقيـا فى الجـاه

اصنع شـيئا يوقفنى ، أرجوك •• اجعلنى أتوقف

فأنا قد أنهكت

« وهو يلهث »

أنهكت •• أنهكت •• أنهكت

ربى •• ما هـذا الاعياء ؟

يا شـيخ

قل لى من أنت ••

أنت الشـيطان ؟

بل أنت ملاك •• جبريل

بل أنت ولى من أهل الله

من أنت ؟ ! ••

من أنت ؟ ! ••

« يتهاوى بجانبه ، ويبكى على كتفيه »

أبا كنت اغفر لى •• اغفر لى ••

الحـــلاج : بل أشكره أن أنصف حالى فى الحب

اذ عاقبنى فى بدنى

« الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلا عن الحارس »

يارب

لو لم أسجن ، أضرب ، وأعذب

كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟

لكنى الآن تيقنت يقين القلب

أنك تنظر لي ، ترعاني ..
ما زالت تستعظمني عينك
ما زلت تراني أخلص عشاقك
عين الله علي
وهداياه موصــوله
وطرائف نعمته مبذوله
فهنيئــا لي
فهنيئــا لي

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحــائط ، حتى يقــارب البــاب ، ويلتفت للحلاج قائلا » :

الحـــــارس : ان لم يأنف مني قلبك

الحـــــلاج : فاذكرني في صلواتك يا شيخ

« يخــرج »

« يقترب السجينــان من الحـــلاج ، يبــدأ السجين الثاني الحديث »

السجين الثاني : سامحنا يا سيد ..

فالسجن يكشف أقبح ما في الإنسان ...

السجين الأول : هل تلعننا فى صلواتك ؟

الحـــــلاج : بل أدعو ربى أن يفرج هـمكما

السجين الأول : يتردد فى شـفتى الآن ســؤال لا أدرى ما أفعل به

هل تأذن لى أن ألقيه يا سيد ؟

الحـــــلاج : لا تكتم عنى يا ولدى

السجين الأول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحـــــلاج : بل يؤذينى أن تكتم ما فى نفسك

السجين الأول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ؟

الحـــــلاج : مقدور يا ولدى ..

السجين الأول : لا أعنى هــــذا .. ساعـدنى .. لفظى لا يسعفنى

أعنى .. لم جاءوا بك ؟

الحـــــلاج : ليتم المقدور ..

السجين الثانى : « مشيرا للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتكلم
يعنى •• ما التهمه ؟

الحـــــلاج : أنى أنطلع أن أحيى الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
أمسيح ثان أنت !

الحـــــلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء
لم أعط تصرفه فى الأجساد
أو قدرته فى بعث الأشلاء
فقنعت باحياء الأرواح الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
ما أهون ما تقنع به !

الحـــــلاج : لم تفهم عنى يا ولدى
فلــكى تحيى جســدا ، حز رتبــة عيسى
أو معجزتــه
أما كى تحيى الروح ، فيــكفى أن تمــلك
كلماتــه
نبئنى •• كــم أحيــا عيسى أرواحــا قبل
المعجزة المشهودة ؟

آلاف الأرواح ، ولكن العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

السجين الثانى : وبماذا تحيى الأرواح ؟

الحــــلاج : بالكلمــات

السجين الثانى : أتراك تقول ..

صلوا .. صوموا .. خلوا الدنيا ، واسعوا
فى أمر الآخرة الموعوده ·
وأطيعوا الحكام وان سلبوا أعينكم ينزى
منهــا الــدم
رصوها ياقوتا أحمر فى التيجان
بشراكم ، اذ ترثون الملكوت
عفوا ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ..

الحــــلاج شكرا . تعطينى أعلى من قدرى
لكن فى قولك بعض الحق
فأنا أحيانا أصرخ فيهم : خلوا الدنيا الفاسدة
المهترئــة

ودعوا أحلامكم تنسج دنيا أخرى

السجين الثانى : دنيا أخرى من صنع الأحلام

الحـــــلاج : الحلم جنين الواقـع

أما التيجـان ..

فأنا لا أعرف صاحب تاج الا الله

والناس سواســية عندى

من بينهم يختــارون رءوسا ليسوسوا الأمر

فالوالى العـادل

قبس من نور الله ينور بعضا من أرضه

أما الوالى الظـالم

فستار يحجب نور الله عن الناس

كى يفرخ تحت عباءته الشر

هذا قولى .. يا ولدى

السجين الثانى : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئا

أقوال تحفر نفسى ، توقظ تذكارات شبابى

لأرانى فى مطلع أيامى الأولى

هل تدرى يا شيخى الطيب

انى يوما ما .. كنت أحب الكلمات
لما كنت صغيرا وبريئا
كانت لى أم طيبة ترعانى
وترى نور الكون بعينى
وترانى أحلى أترابى ، أذكى أخدانى
فلقد كنت أحب الحكمة
أقضى صبحي فى دور العلم
أو بين دكاكين الوراقين
وأعود لأفاجئها بالألفاظ البراقة كالفخار
المدهون
الجوهر والذات
الماهية والاسطقسات
والقاتيغوريات
« يونانى لا يفهم »
أمى كانت تلتذ بأقوالى تتجرعها أذناها شهدا
يتبسم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن
ويغرد فى شفتيها صوت لا أسمعه الا فى ذاك
الحين

« الله يصـــونك لى »
« ويمد حياتى حتى أتملاك »
« أستاذا فى بيت الحكمة »
« أو قاضى شرع »
« أو والى ربع »
« أو شيخا صاحب نعمة »
كانت أمى خادمة تجمع كسرات الخبز وفضل الثوب
من بعض بيوت التجـــار
وأنـــا طفل لا همـــة لى
الا فى هـــذا اللغو المـــأفون
مرضت أمى ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعا ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغـــاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصـــدق القاسى
أمى ما ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانه
ولذا مرضت صبحا ، عجزت ظهرا ، ماتت
قبل الليـــل

الحـــــلاج : فليرحمها الله

السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها ..

الحـــــلاج : قتلوهـــا ؟ ..

السجين الثانى : من أعطـــوا أمى ، ما يـــكفى أن يطعمهـــا أو يطعمنى

من جعلونى آكل لحم الأم لأحيا وأشب

قل لى .. هل تصلحهم كلماتك ؟

الحـــــلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثانى : غضبى لا يبغى أن يصلح بل أن يستأصل

الحـــــلاج : من تبغى أن تستأصل ؟

السجين الثانى : الأشرار ..

الحـــــلاج : بم تعرفهم ..

السجين الثانى : بتصرفهم

الحـــــلاج : يا ولدى

الشر دفين مطمور تحت الثوب

لا يعرفه الا من يبصر ما فى القلب

نحن هنـــا بضعة مخلوقـــات فى ركن من
أركان الدنيـــا

أنت •• أنـــا •• هـــذا •• حارسـنا ذو
السوط المتدلى من خاصرته

من فينا الشرير •• من فينا الخير ؟
من فينا يستأصله سيفك ، أو يعفيه ويستبقيه
وهب السيف بغير يمينك
بيمينى أو بيمين الحـــارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الأول : ولمـــاذا لم تضعوا سيفا فى كفى ؟

الحـــــلاج : من عندئذ تقتل •• ؟

السجين الأول : نفسى •• يا سيد ؟

السجين الثانى : « للأول »
دعنا من هذا الهذر الأجوف

« الحــــلاج »

السجين الثانى : اسمع لى يا شيخ
انك رجـــل من أذكى من قـــابلت فـــؤادا
أثبتهم جارحة عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس سجنت
وعــذبت

لكن ، هل تقضى عمرك مقهورا فى ظل
الجدران المربده ؟

كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء

حتى يأتى حجر طائش

ويهشــم رأســك

لم لا تهرب ؟

الحــــلاج : لم أهرب ؟

السجين الثانى : كى تحمل سيفك من أجل الناس

الحــــلاج : مثلى لا يحمل ســيفا

السجين الثانى : هل تخشى حمل السيف ؟

الحــــلاج : لا أخشى حمــل الســيف ولكنى أخشى
أن أمشى به

فالسيف اذا حملت مقبضــه كف عميــاء
أصبح موتــا أعمى

السجين الثانى : ولمــاذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه ؟

الحـــــلاج : هب كلماتى غنت للسيف ، فوقع ضرباته
أصداء مقاطعها ، أو رجع فواصلها وقوافيها
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوى رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب فى روعة تشبيه
وذراع تقطع فى موسيقى سجعه
ما أشقانى ، عندئذ ، ما أشقانى
كلمـاتى قد قتلت

السجين الثانى : قتلت باسم المظلومين ..

الحـــــلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمة ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جارا أو زوجا أو طفلا أو جارية أو عبدا ؟
أو لم يظلم أحد منهم ربه ؟
من لى بالسيف المبصر !
من لى بالسيف المبصر ! ..

السجين الأول : هل تبكى يا سيد ؟
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحـــــلاج : لا أبكي حزنا يا ولدى ، بل حيره
من عجزى يقطر دمعى
من حيرة رأيى وضـــلال ظنونى
يأتى شجوى ، ينسكب أنينى
هل عاقبنى ربى فى روحى ويقينى ؟
اذ أخفى عنى نوره
أم عن عينى حجبته غيوم الألفاظ المشتبهه
والأفــكار المشتبهه ؟
أم هو يدعونى أن أختار لنفسى ؟
هبنى اخترت لنفسى ، ماذا أختار ؟
هل أرفع صــوتى ،
أم أرفع ســيفى ؟
مــاذا أختــار ؟ ..
ماذا أختار ؟ ..

« يظلم المسرح تدريجيا ، حتى ينعدم ضــوءه مما يوحى بمرور الأيــام ، ثم ينير تدريجيــا كذلك ، لنرى نفس المشـــهد ، لكن لا نرى السجين الثانى ، القت الأيام على المشهد كله مزيدا من التعاسة ، حوائطه وأرضــه وحتى هوائـــه » .

السجين الأول : أيام تسقط فى أيام
وشهور تهوى فى جوف شهور
منذ ألقينا فى هذى البئر الملعونة
الحـــلاج : كم لك فى السجن ؟
السجين الأول : أيام قبلك ..
الحـــلاج : فلنصبر ، يا ولدى
السجين الأول : لا أدرى لم يضنينى السجن الآن ؟
ألأنى أعلم أن السجان
أولى منى بمكانى
لم لم تتركنى حين دعانى ثالثنا
أن أصحبه فى هربه ؟
الحـــلاج : لكنى لم أمنعك
بل لم أعرف
السجين الأول : لكنك كنت تحس
ولهذا كنت كثيرا ما تأنس بى
وتقربنى ، فى أول ساعات الليل
وتحدثنى وتحدثنى حتى قيدت خطاى

ولهذا قلت لنفسي ، حين دعاني أن أهرب :
« ماذا يجـدى روحى أن تخرج من سجن
ضـيق

كى تلزم سجنا أهون ضيقا .. ؟ »
لنفسي قـلت :
« ماذا قد أفعل فى كون قد أنكرنى
لم يصبح فى وسعى أن أجد مكانا فيه
الا أن أنكر روحى،أقتل هذا الشيء الغامض
النابت فى قلبى من كلماتك » ؟
ولنفسى قلت :
« ماذا يرجو انسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنـا قد كنت سعيدا فى ظلك .. »
يا خيبة سـعيى
يا خيبة سـعيى
أحببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فأر مقعد
ليسامحك الله
بكلامك ضيعت حياتى ..

يكلامك ضيعت حياتى ••

الحـــــلاج : يارب

ألهمنى أن أختار

ألهمنى أن أختار

« فى هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطــة : أيكما الحــلاج ؟

الحـــــلاج : أنــا يا ســيد

كبير الشرطــة : اليوم يحاكمك قضاة الدولة

فلتمض أمامى ••

الحـــــلاج : هذا أحلى ما أعطانى ربى ••

الله اختــار ••

الله اختــار ••

(ســـــتار)

المنظر الثاني

« محكمة كبير القضاة ببغداد قضاتها الثلاثة أبو عمر الحمادى انيق بدين ، وابن سليمان، قصير حفى فى حديثه هادىء الصوت ، وابن سريج ، نحيل حسن السمت ، ثم الحاجب »..

أبو عمر : بسم الله الهادى للحق
وعليه توكلنا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأماتتنا
يا حاجب ..
لم لم يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحاجب : الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهم يلتمسون الطرق الخالية من العامة
حتى يتوقوا أهل الفتنة ..

أبـو عمـــر : الفتنــة ! ..

ألأن عدوا لله وللسلطان يؤدب

يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟

حقا ! ما أصغر أحلام العامة

الحـــاجب : رجل كان سجينا معه فى باب خراسان

قد جمعهم منذ صباح اليوم .

أبـوعمـــر : اهمال من والى الشرطة

لم لم يطلق فيهم أعوانه

الحـــاجب : هذا ما يفعله الآن

أبـو عمـــر : كم يبلغ عد العامه ؟ ..

الحـــاجب : مائة أو مائتان

أبـو عمـــر : لا .. لا .. لا خوف

لا قبل لهم بمواجهة الشرطه

انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحـــاجب : سمعا يا مولاى

« يخـرج »

ابـن سريـج : « فى صوت خفيض »
أأبـا عمر ، قل لى ، ناشدت ضميرك
أفلا يعنى وصفك للحـلاج ..
بالمفسـد ، وعـدو الله
قبل النظر المتروى فى مسألته
أن قد صـدر الحكم ..
ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

أبـو عمـر : هل تسخر يا ابن سريج ؟
هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا
موسـوما بالعصـيان
وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا
فاذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابـن سـليمان : عـذرناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب تخليده
فى محبس باب خراسان

ابـن سـليمان : خـلدناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب أن يهلك

ابـن سـليمان : أهلكنـاه

أبـو عمـــر : لا ، ليس بأيدينا ، اذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسـياف يشـد الحبـل

ابـن سـليمان : هـذا تعبير رائـع
لكن لا يستغرب ان يصـــدر عن سـيدنا الحمـادى

أبـو عمـر : عفوا ، عفوا ، يابن سليمان
اطراؤك يخجلنى ، ويذكرنى
أن الله يوفقنى
دوما للتعبير الرائـع
أحـكى لك قصـة ..
بالأمس لقيت صديقى القاضى الهروى
وهو كمـا تعـلم
رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسـألته :
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فاحتار ، ولم يفهم

فأعدت القول ، لكى لا تبقى للقاضى حجه
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فتبلد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازور من وقع القنا بلبانه
وشكى الى بعبرة وتحمحم »
انى أروى آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظى ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمام وابن الرومى فى صيد التبر
لكنى رجل لا يغرينى المـال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنـا ..
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله
معنى تعبيرى الرائـع
فحككت له أنفى ، ثم مضيت

ابن سليمان : يبقيك الله ، فقد كشفت غباءه
لكن ، قـل لى
فتح الله عليـك
ما معنى هـذا القول ؟

أبــو عمـــــر : هل تدرك معناه يا ابن سريج ؟

ابــن سريــج : يا مولانـــا

جئنا فى مجلس حكم لا فى مجلس ألغاز

وأنـــا رجل محدود يقصر عقلى

عن أن يتســـع لتعبيراتك

أبــو عمـــــر : رد لبق ، والله

لكن لا يعفيك من الرد

ابــن ســـليمان : رد لا يعفيه من الرد

هـــذا أيضا تعبير رائـــع

ابــن سريــج : يا مولانـــا

أنشـــدك الله

حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه

فتضــــل بها خطوات العدل

فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبــنو عمـــــر : خذ يابن سليمان

الطعن الأولى معناها طعن الأضراس

تتنك .. تتنك .. تتنك ..

أما طعن الثانية فمعناها أوغل فى العمر
اه .. اه .. اه
أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ
شكشك ، شكشك ، شكشك
والآن اسمع وتأمل ..
ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن
أى ..
ما أجدى الأكل لمن عجز عن ..

الحاجب : يا مولانا القاضى
قتلوا المسجون الهارب
لكن العامة مازالت تتجمع فى الطرقات

أبو عمر : نقصوا أم زادوا ؟

الحاجب : نصفهمو قد فر أمام الشرطة

أبو عمر : هذا ما كنت أظن
لا .. لا .. لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »

ما رأيك يا ابن سليمان فى هذا اللغز ؟

ابـن سـليمان : ما أمتع أسمارك يا مولانا
ليس غريبا أن يؤثرك الخلفاء أنيسا
ويقربك الوزراء جليسا
ويكون لك الرأى المسموع

أبـو عمـــر : بل علمى يبهرهم يا ابن سليمان

صوت الحاجب : « من باب القاعة »
مولانا بكر بن الأوسى والى الشرطة
وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور .
« يدخـل والى الشرطـة ، ومعه الحلاج ، ويحيى الوالى القضاة بالسلام فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلا أمام القضاة »

أبـو عمـــر : يا حلاج •• اتدرى لم جئت هنا ؟

الحـــــلاج : ليتم الله مشيئته يا سـيد

أبـو عمـــر : هـذا حـق ••
والله تبـارك وتعـالى •
قد ثبت فى كف خليفتنا الصالح ـ أبقاه الله ـ
ميزان العدل وسيفه

الحـــــلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

أبــو عمـــر : هذا ضرب من فتان القول

لا يدركه أمثالك من أهل الفتنة

ابــن سـليمان : حلو .. حلو ..

لم يفتنى قولك يا سيد

أبــو عمـــر : سيروعك قولى فيما بعد

فاســمع وارتــع

مولانا لا يدفع عبدا مسن ولى فيهم للسيان

الا أن أحصى ما فرط من أمره

فى ميزان الانصــاف

مولانا يدرى من زمن أنك تبغى فى الأرض فســادا

تلقى بذر الفتنــة

فى أفئدة العامــة

وعقول الدهمــاء

تتستر خلف الذقن الشهباء

أو أثواب المجذوبين الفقراء

والأقوال الغامضة المشتبهات القصد
اذ تسبكها وتقفيها كهذاء الشعراء
قل لى .. ماذا تبغى بهذائك ؟
هل تبغى أن يضع المسلم ..
فى عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحـــلاج : لا .. يا سيد
بل أبغى لو مد المسلم للمسلم
كف الرحمة والود

أبــو عمـــر : ولهذا تعرض للحكام
من أهل الرأى وأصحاب النعمة
ماذا تبغى ؟
أن يختل الناموس ويصبح أمر العامة
أعلى من أمر الخاصة
أن يحكم فينا الحمقى والجهلة
أن يعطى الأمر لمن ليس بأهل له

ابـن سـليمان : فتقوم الساعة

أبــو عمـــر : يا حـــلاج

الجرم الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابـــن سريـــج : يا مولانا ، هلا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبـــو عمـــــر : ما حاجتنا أن نسمع فى هذا المجلس
فيضا من لغو القول المبهم ؟
فليعل حديث العدل اذا خرس الجرم
قـــال الله تعـــالى :
« انما جزاء الذين يفسدون فى الأرض »

ابـــن ســـليمان : أأبا عمر .. حقا ما قلت
لكنى أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه فى أمر الحـــكم

أبـــو عمـــــر : هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابـــن ســـليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقى باسم الشرع
لكنى لا أرضى أن يلزمنى باسم السلطة
فأنا لم أشـــهده يبغى افســـادا فى الأرض

أبـــو عمـــــر : الشرطة قد شهدته

ابـــن ســـليمان : لكنى لم أتحقق من قول الشرطة ..

أبــو عمـــــر : يا ابن سليمان

لسنا أهــل لتحقيق

بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل باحكام الشرع

فالشرطة والوالى والسلطان يسوســون •• أمور الأمــة

ويميزون الجــــانى ، ويقيســـون الجــرم بامعــان وتثبت

فاذا صح الجــرم لديهم ، وقفوا الجــانى بين يدينــا

لنرى فيه الرأى الشرعى الصائب

ابــن ســليمان : يا مولانــا

رأيى من رأيــك ••

لكنــك قــد وضحتــه

ببيان مثلى لا يدرك حسنه

فلتسمح لى أن أعرض رأيى

بعباراتى الجرداء من الفطنــه

انى قــد أســآل نفسى الآن

من نحن ، وما علة هـذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهـل الشرع
والوالى يستفتينـا فى أمر
وعلينـا اتقـان الفتوى
أنـا لا يعنينى ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا حال ، لا شخص ماثل
وكأن الوالى يسـألنا
ما حـكم الشرع العـادل
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

وهنا تتملى فى الأحكام ، وننشرها ، نتخير منها،
ونقـول :
للوالى ، لا للحـلاج
هـذا حـكم الشرع
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب فى جـذع الشـجرة

ويفض المجلس
هل فتوانا ملزمة للوالى ؟
لا .. فله أن ينفذهــا
أن أن يسترجع أمره
وهنا لا نحمل وزر دم مســفوك فى ظــلم
أو عــدل أو عــدل

ابــن سريــج : لا ، لا ، يابن سليمان
ما تنسجه من محبوك القول
أحبولــة شــيطان
ان الكلمــات اذا رفعت سيفا ، فهى السيف
والقاضى لا يفتى ، بل ينصب ميزان العدل
لا يحكم فى أشباح ، بل فى أرواح أغلاها الله
الا أن تزهق فى حق ، أو فى انصاف
الوالى والقاضى رمزان جليــلان
للقــدرة والحــق
لا تدنو من مرماها أفراس القدره
لا تبــلغ غايتهــا
الا أن أمســك فرسان الحق

بزمـــام أعنتها
فاذا شئتم أن ينقلب الحـــال
ان تلقوا فرســـان الحـــق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنـــا أستعفى من مجلســـكم

أبـــو عمـــــر : يا ابن سريج
هـــذا مجلس حكم مخصـــوص
وله تقـــدير مخصـــوص
ينظر فى أمر مخصـــوص
وكمـــا قـــال القـــائل

ابـــن سريـــج : « مقاطعـــا »
مخضوص .. مخصوص .. مخصبوص
هل خصوا هـــذا المجلس بالظـــلم
قل لي فى لفظ واضـــح
هل نحن قضـــاة باسم الله
أم باســـم الســـلطان ؟

أبـــو عمـــــر : بل قـــل أنت

أو تنكر أن السلطان خليفة رب الأكوان
على الأكوان ؟

ابن سريج : هذا السلطان العادل ...

أبو عمر : أو تبغى أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابن سريج : بل أرجو أن أثبتها له

ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان اذا
ولى الأمر
كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل
عاش الملك العادل
العدل مواقف
العدل سؤال أبدى يطرح كل هنيهه
فاذا ألهمت الرد ، تشكل فى كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر ، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السلطان وسلطانه

أبــو عمـــــر : العدل .. العدل

ماذا تبغى حتى يجرى العدل

ابــن سريــج : أن نسمع صوت المتهم الماثل بين يدينا

ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبــو عمـــــر : هــه ...

هو لا يبغى أن يتكلم

وعلى كل ، مازالت جلستنا ممدوده

فليسمعنا شــيئا من لغوه

يا هــذا الشيخ المنفوش اللحيه

بم تدفع عن نفسك .. ؟

الحـــــلاج : لستم بقضــاتى ،

ولذا لن أدفع عن نفسى

ابــن سريــج : « للحـــلاج »

يا حــلاج ...

لا تدفع عن نفســك

بل حــدثنا عما فيهــا

ان كان هو الحق ، عرفناه معك

واذا كان الباطل

نبهناك اليه

وأخذناك بجرمه ...

الحلاج : أوعدتم ان كان الحق ...

أن تمضوا فيه معي ؟

أبو عمر : نمضي فيه معك .. ؟

اما أنك رجل ساذج

أو أنك أذكى مما تتصور

ولهذا أفسدت صعاليك العامه

وعلى كل ، لا ضير

قد نصبح من أتباعك « ساخرا »

من أنت ، وما خطبك ... ؟

الحلاج : أنا رجل من غمار الموالى ، فقير الأرومة والمنبت

فلا حسبي ينتمي للسماء ، ولا رفعتني لها ثروتي

ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا الوجود

لأن فقيرا ــ بذات مســاء ــ ســعى نحو
حضن فقيرة
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاســية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقــاتون
خبز الشموس
ويسقون مــاء المطر
وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات
الحزينــه
فتعجب كيف نموا واســتطالوا ، وشــبت
خطاهم ...
وهــذى الحيــاة ضنينه
تسكعت فى طرقات الحياة ، دخلت سراديبها
الموحشــات
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوبت عقلى ، وزيت المصــابيح ، شمس
النهار على صفحات الكتب
لهثت وراء العــلوم ســنين ، ككلب يشم
روائح صــيد

فيتبعها ، ثم يحتـال حتى ينال سبيلا اليها ،
فيركض ،
ينقض

فلم يسعد العلم قلبي ، بل زادني حيرة راجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أني ضئيل كقطرة طل
كحبـة رمـل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمي ما قادني قط للمعرفـة
وهبني عرفت تضاريس هذا الوجود ...
مدائنـه وقـراه
ووديانـه وذراه
وتاريخ أملاكه الأقـدمين
وآثـار أملاكه المحـدثين

فكيف بعرفان سر الوجـود ، ومقصـدي
مبتدا أمره ، منتهاه
لكي يرفع الخوف عني ، خـوف المنون ،
وخوف الحياة ، وخوف القدر

لكى أطمئن
سألت الشيوخ ، فقيل
تقرب الى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ..
صل لتسعد
وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون
ورب الحياة ورب القدر
وكان هواء المخـافة يصفر فى أعظمى ويئز
كريح الفلا ... وأنـا ساجد راكع أتعبد
فأدركت أنى أعبد خوفى ، لا الله ...
كنت به مشركا لا موحـدا
وكان الهى خوفى
وصليت أطمع فى جنته
ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب
وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب
أنى أبيع صلاتى الى الله
فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن
وكنت به مشركا ، لا موحدا

وكان الهى الطمع
وحير قلبى سؤال :
ترى قدر الشرك للكائنات
والا ، فكيف أصلى له وحده
وأخلى فؤادى مما عداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن ...
« سكتة »
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش
بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان
يحب النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى

ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ،
وأنت الصلاه
وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وآتحفنى بكمال الجمال ،
جمال الكمال
فأتحفته بكمال المحبه
وأفنيت نفسى فيه

أبو عمر : صمتا : هذا كفر بين !

ابن سريج : بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل فى تقدير محاكمنا
أمر بين العبد وربه
لا يقضى فيه الا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامة
فلهذا أوقفه السلطان هنا .
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحـــــلاج : لا نفسد أمر العامة الا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوعهم

ابـــن ســليمان : يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام

الحـــــلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا احكاما ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الاحكام ؟
خلق الانسان على صورته فى أحسن تقويم
فلماذا رد الى درك الأنعـام ؟

أبـــو عمـــر : ماذا يعنى هـذا الشيخ ؟
هل هذا أيضا من أحوال الصوفية ؟
أم يستخفى خلف الألفاظ المشتبهه
كى يخفى وجه جريمته الشنعاء ؟
انى أسألك سـؤالا محدودا
لتجيب جوابـا محـدودا
هل تزعم أنك صـوفى .. ؟

الحـــــلاج : الله يصنفنى حيث يشاء

أبـــو عمـــر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟

الحـــــلاج : ها أنـا ذا فى الدنيا يا سـيد
أشغل نفسى بالرد على أسئلتك

أبـو عمـــر : هل أرسلت رسـائل لأبى بكر المـاذرائى وسـواه
تدعـوهم فيهـا أن ينتقضـوا ، ويهبـوا ضـد الدولة ؟

الحـــــلاج : الدولة .. !
لا أشغل نفسى بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبـائى

أبـو عمـــر : تنـكر .. ؟
يا حاجب ...
قل للشرطة يأتوا بالمـاذرائى

الحـــاجب : هرب المـاذرائى من بغداد يا مولاى
وكذلك حمد الطولونى والقنائى

أبـو عمـــر : منذ متى .. ؟

الحـــاجب : من يومين .. ؟
مذ أنبأهم جاسوس بالقصر

عن قرب محاكمة الحلاج

أبـو عمـــر : كيف عرفت •• ؟

الحـــاجب : أنبتنى الشرطة يا مولاى

أبـو عمـــر : « للحـلاج »

أحسبك الآن ستمضى فى انكارك

لكنى من نطقك سأدينك

هل أرسـلت رسـائل ؟

الحـــلاج : قطع من قلبى أهديها لقلوب أحبائى

أبـو عمـــر : مـاذا فيهـا ؟

الحـــلاج : تذكير لهم أن الانسان شقى فى مملكة الله

لم يبرأنا البارى ليعذبنا ، ويصغرنا فى عينيه

بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحه

أبـو عمـــر : لم أرسلت اليهم برسائلك المسمومه ؟

الحـــلاج : هـذا ما جال بفكرى

عاينتُ الفقر يعربد فى الطرقات

ويهـدم روح الانسـان

فســألت النفس :
مــاذا أصــنع ؟
هل أدعو جمع الفقراء
أن يلقوا سيف النقمــه
فى أفئدة الظلمــه ؟
ما أتعس أن نلقى بعض الشر ببعض الشر
ونداوى اثمــا بجريمــه
مــاذا أصــنع ..؟
أدعــو الظلمــة
أن يضعوا الظلم عن الناس
لكن هــل تفتح كلمــه
قلبا مقفولا برتاج ذهبى ؟
مــاذا أصــنع ؟
لا أملك الا أن أتحدث
ولتنقل كلماتى الريح السواحه
ولأثبتها فى الأوراق شهادة انسان من أهل الرؤيــه
فلعل فؤادا ظمآنا من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هـذى الكلمـات
فيخوض بها فى الطرقـات
يرعاها ان ولى الأمر
ويوفق بين القدرة والفكره
ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبـو عمـــر : هل تبغى أن يرتفع الفقر عن الناس ؟
الحـــلاج : ما الفقر ؟

ليس الفقر هو الجوع الى المـأكل والعرى
الى الكسوه
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع
البغضـاء
الفقر يقول ــ لأهل الثروه ــ
اكره جمـع الفقراء
فهمو يتمنون زوال النعمة عنك
ويقول لأهـل الفقر
ان جعت فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :
كونوا أحبابا محبوبين
والفقر يقول لنا :
كونوا بغضـــاء بغاضين
اكره .. اكره .. اكره
هـــذا قول الفقر

أبـــو عمـــــر : هذا أمر لا يسكت عنه
هـــذا الشيخ يقول :
الانسان شقى فى مملكة الله
معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا
ويقول :
ان الفقر يعربد فى الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولتسأل عندئذ من سلب الأقوات !
ويقول :
لكن الكلمة لا تفتح قلبا مقفولا برتاج ذهبى
يعنى الأمراء وأهل الجـــاه
وتؤدى هـــذى الألفاظ المشتبهه

بالفقراء الى نبذ الطـاعه ..
ولزوم الفتنـه
ولهذا أحكم مرتاحا باداتته وعقابه
ما رأيك يا ابن سليمان ؟

« قبل أن يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل »

الحـاجب : مبعوث من عند وزير القصر
يستأذن أن يدخـل

أبـو عمـر : من عند وزير القصر
فليدخـل ....

المبعـوث : مولاى وزير القصر
يهـديكم تقـديره
ويوجه هـذا المكتوب اليك

« يعطى أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبـو عمـر : « وهو ينظر فى الخطاب »
مولاى وزير القصر

لطفـا منه وكرامـه
ينبينا فى مكتوبه
« يقـرا »
أن الدولة قد سامحت الحلاج
فيما نسب اليه ، وتثبت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الافساد
وعفت عنه عفوا كليا لا رجعة فيه

ابـن سـليمان : هذا حقا ، لطف من مولانا وكرامه

أبـو عمـر : « مستأنفا فى الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان ..
ما نصنع فى حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروى أن الله يحل به ، أو ما شاء له الشيطان
من أوهـام وضـلالات
ولهذا أرجو لو يسأل فى دعواه الزنديقية
فالوالى قد يعفو عمن يجرم فى حقه
لكن لا يعفو عمن يجرم فى حق الله »

ابـن سـليمان : هـذا أيضا حق !

ابـن سريـج : بل هـذا مكر خادع

فلقد أحكمتم حبل الموت

لكن خفتم أن تحيا ذكراه

فأردتم أن تمحوهـا

بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم

من هـذا المجلس

فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم

مسفوك السمعة والاسم

يا حـلاج ...

هل تؤمن بالله ؟

الحـــلاج : هو خالقنا واليه نعود

ابـن سريـج : هذا يكفى كى يثبت ايمانه

أبـو عمـر : يا ابن سريج

انى لا أبحث فى ايمانه

بل فى كيفية ايمانه

ابـن سريـج : كيفية ايمانه .. ؟

هل تبغى أن تنبش فى قلبه
هل هــذا من حق الوالى
أم من حــق الله ؟.

أبــو عمـــــر : هذا من حق قضاة الشرع

ابــن سريــج : لا ، بل هــذا من حق الله
فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلا عن ايمانه
فاذا شئتم أن تمضوا فى هذا الاثم ...

أبــو عمـــــر : سنمضى يا ابن سريج

ابــن سريــج : فأنا أستعفى من مجلسكم

أبــو عمـــــر : هــذا لك يا ابن سريج

« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعا من القاعة ، وهو يقول »

بل هــذا من حق الله
بل هــذا من حق الله

أبــو عمـــــر : مازالت جلستنا معقوده

« يعود الى الخطــاب »

هذى حاشية فى مكتوب وزير القصر ...
تقول ...

« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق
أن يستفتوا فى أمر الحلاج شهود
والشرطة قد جمعتهم فى باب القاعة
كى تكفيكم هذا الأمر »
يا حاجب
من بالباب

الحاجب : الشبلى الصوفى وبعض العامة

أبو عمر : أدخلهم

« يخرج الحاجب ، ويدخل و
الشبلى ، تتبعه جماعة الفقه
شهدناهم فى المنظر الأول »

« يتقدم الشبلى »

أبو عمر : أقدم يا شبلى

« الشبلى يتقدم أمام المحكمة »

أبو عمر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلى يشير براسه موافقا »
ماذا تعرف عنه ؟

الشبلى : مولاى ... أقلنى ، واصرفنى

فلقد جذبونى من بين أحبائى
وأتوا بى مخفورا مقهورا

أبــو عمــــر : ان كنت تحب العدل
فاشهد بين يدينا بجلية أمر الحلاج

الشــــبلى : بجلية أمره •• ؟
هذا سلطان لا يملكه الا الله

أبــو عمــــر : أو ليس صديقا لك ؟

الشــــبلى : واماما من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبــو عمــــر : هــل تزعم مثــله
أن الله تجــلى لك ••
أو حل حلولا فى جسدك ؟

الشــــبلى : كل منا يتحدث عن حاله
أو يصمت حين يشاهد
الحــلاج يرى •••
فيجن من الفرحة ، حتى يهذى ويعربد
وأنــا أتلذذ فى صمتى

أبــو عمــــر : بك أيضا ، قد حل الله ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

ان أحببت وأخلصت العهد

هل تبقى ذاتك ذاتك

أم تفنى فى محبوبك

وبهذا يشعر أهـــل الوجد

فنيت نفس فى خالقهـــا

فنيت ذات فى ذات

لم يصبح فى دنياك سوى ذاته

حتى أنت

قـــد أصبحتـــه

أبـــو عمـــــر : كفر .. كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

أرجوك ... اصرفنى ... انك تلقى بى فى النـــار

فلقد عاهـــدت الله

ألا افشى نعمـــاءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالى قط
دعنى أرعى عهدى ، واصرفنى

أبـو عمــر : قول الحلاج اذن ...

الشـــبلى : « متوســلا »
هل أخرج يا ســيد ؟

أبـو عمــر : اخــرج
« يخرج الشــبلى مرتاعا »
« يلتفت ابو عمر الى جمع الفقراء »
ما رأيكمو يا أهل الاسلام
فيمن يتحدث أن الله تجلى له
أم أن الله يحل بجسده ؟

المجمـــوعة : كافر .. كافر

أبـو عمــر : بم تجزونــه ؟

المجمـــوعة : يقتل ، يقتل

أبـو عمــر : دمه في رقبتكم .. ؟

المجمـــوعة : دمه في رقبتنا

أبـو عمــر : والآن .. امضوا ، وامشوا فى الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات
وقفوا فى منعطفات الطرقات
لتقولوا ما شهدت أعينكم
قد كان حديث الحلاج عن الفقر قناعا
يخفى كفره
لكن « الشبلى » صاحبه قد كشف سره
فغضبتم لله ، وأنفذتم أمره
وحملتم دمه فى الأعناق
وأمرتم أن يقتل
ويصلب فى جذع الشجره
الدولة لم تحكم
بل نحن قضاة الدولة لم نحكم
أنتم ...
حكمتم ، فحكمتم
فامضوا ، قولوا للعامة
« العامة قد حاكمت الحلاج امضوا ..
امضوا .. امضوا ..
« يخرجون فى خطى متباطئة ذليلة »
(ستار)

تذييـــل

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان ابوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بهـا زمنا . ومن هنا أتاه اللقب .

وتلقى خرقه الصـوفية فى شبابه عن المتصـوف المعروف عمرو المكى . وذلك بعد لقاء قصير بسهل التسترى ، احد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيـا والفناء فى الجماعة الصـوفية . ثم تزوج بعد ذلك بامرأة بصريـة . أولدهـا أولادا وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره . ثم صار له مريدون عبر عنهم فى قصـائده بقوله « أصحابى وخلائى » . وقد أختلف مع صوفية عصره حين اخذ يتصل بالناس ويتحدث اليهم . فنبذ خرقة الصـوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند . ثم عـاد الى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده . يبث الآراء الاصـلاحية . ويتصل ببعض وجوه الدولة . ويجمع حوله مجموعة من الفقراء . وظلت حياتـه بين سجن ومحاكمات لا تتم . واتهـام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة فى عام ٣٠٩ هـ . أمام القاضى المـالكى ابن عمر الحمادى . ومعه قاضيان أحدهمـا شافعى والآخر حنفى كمـا جرت بذلك العـادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية . ومجموعة من الأشعار النثرية فى كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصى في حياة الحلاج » . ولكتاب « أخبار الحلاج » الذى حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر فى لفتى الى سيرة هذا المجاهد الروحى العظيم . وفى مقال ماسينيون اشارة الى الدور الاجتماعى للحلاج فى محاولته اصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج الى الحنابلة . ويجعل الشيعة ــ ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام ــ عدا الخليفة ــ هم الساعون فى دمه . وذلك بعد تحقيق تاريخى مسهب .

والاشارة لدوره الاجتماعى نجدها فى المراجع العربية القديمة . فالاصطخرى يقول انه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخرى .

ولكن اضواء اخرى تلقى على طبيعة هذه الاستمالة مثل تاكيد الجويرى فى كتابه كشف المحجوب إنه رأى بالعراق بعد ما يزيد قليلا عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمى نفسها الحلاجية . وهذا أو قريب منه ما يحدثنا به ابو العلاء المعرى فى « الغفران » من أن هناك قوما فى بغداد ينتظرون خروج الحلاج . ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته . وقد مات المعرى بعد صلب الحلاج بمائة واربعين عاما .

فمما لاشك فيه اذن أن الحلاج كان مشغولا بقضايا مجتمعه .

وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هـذه الوقفة الا عقابا على هذا الفكر الاجتماعي .

اما مسألة حنبليته . ووقوف الشيعة ضده . فتلك مشكلة. فرغم تأكيد ماسينيون فان دارسين آخرين مثل جولد تسيهر ودى بور وآدم ميتزلا يشيرون اليها . كما أن بعض المراجع الغربية القديمـة تغفلها . بل ان بعضـها يشـير الى شيعته مثل قـول الاصطخرى نقلا عن ابن حوقل ان الحلاج كان فى أول أمره داعيا من دعـاة الفاطميين . وقول ابن النديم فى الفهرست انه كان فى أول أمره يدعو الى الرضا من آل محمد .

هى مسألة مختلف فيها اذن . ولذا أسقطتها من تقديرى .

وقد اخـذت من التاريخ شخصـيات معظم مسرحيتى ، فالشبلى من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج . وله شـهادة فى المحكمة . وقد استجوب الحلاج وهو على صليب الموت بهـذه الآية القرآنية « أو لم ننهك عن العالمين » . وكان ابراهيم بن فاتك مريده وخادمه وهو الذى روى لنا بعض فصـول كتاب « أخبـار الحلاج » اما القاضيان ابو بكر الحمادى وابن سريج فأولهما من قضـاة المـالكية المعروفين بتقربهم من الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعى العظيم .

وقد أعدت صياغة أحداث التاريخ . وبخاصة وقد أقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد . فاقتصرت على المحاكمـة الأخيرة وقد كان رأى ابن سريج فى كراهيته محاكمة الانسان فى تفاصـيل عقيدته مع الملع الآراء التى وردت فى المحاكمة الأولى . فدفعت به الى المحاكمة الثانية . ورغم انه ــ على رواية انفرد بها ماسينيون ــ لم يكن احد قضاتها .

كما انى أيقنت منذ القراءة الأولى للمـادة المروية عن الحلاج أن كثيرا من أخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها . خاصـة وقد أصبح بعد موته وليا وقديسا ومهديا منتظرا عند بعض المسلمين . فكونت من الطواسين ومن شـعره مذهبا تصـوفيا ينسجم مع التصوف واصول العقيدة المتحررة معا .

(ب) نشأ المسرح شعريا . وأغلب الظن انه سيعود كذلك . رغم غلبة الطابع الاجتماعي النثرى منذ أواخر القرن التاسع عشر. ولكن الايماضات الشعرية التى تتخلل المسرح النثرى الآن تؤذن بعودة الشعر الى المسرح . وليس الأسلوب النثرى المحكم ــ كما قال أحد النقاد ــ الا محـاولة الاقتراب من الشـعر فى تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتنى مشكلة الموسيقى . ولأهل الولع بالعروض أقول انى استعملت فى مسرحيتى هـذه اربعة ألوان من التفاعيل :

اولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيا : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقـد كان العروضـيون الأقـدمون يجيزون فيها اسـكان الخـامس المتحرك . فتصـبح « مفاعلين » ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وان كانوا لا يحرمونه . وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح اليه أحيانا . ولعل هـذا هو ما اريد ان الفت له . وهو أن الكتابة للمسرح الشعرى سـتدخل على موسـيقى العروض نوعـا من الطواعيـة .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها : تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن . شاع استعمال هـذه التفعيلة فى شعرنا الحديث . وهى اقرب الى لهجة الحوار من الرجز . وفيها موسيقية راقصـة وخاصة اذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فسـاكن . ولكنها ان حركت آخر حروفها احيانا . وهـذا ما لم يجزه الأقدمون . اصبحت ذات ايقاع جـاد . وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير يمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هى المحاولة الأولى . ولاشـك ان المسرح الشـعرى سيطور عروضه .

ص.ع

رقم الإيداع ٧٤١٩/ ٩٦
الترقيم الدولى I.S B.N. 977- 01- 4859- 8

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٦
جمعية الرعاية المتكاملة

بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

26
Bibliotheca Alexandrina
0270670

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب